# الصورة البيانية الحجاجية في القرآن الكريم
# سورة آل عمران مثالاً

علي جعفر الربيعي
أنسام عادل الخزعلي
كلية العلوم الاسلامية / جامعة كربلاء

The argumentative graphic image in the Holy Qur'an
(Surat Al Imran as an example)

Ali Jaafar Al-Rubaie
Ansam Adel Khazali
College of Islamic Sciences / University of Karbala
Email: alrobuieali@gamil.com

## ملخص البحث

لا يزال القرآن الكريم بحرًا زاخرًا بأنواع المعارف والعلوم، إذ يحتاج من يرغب الحصول على لآلئه ودرره أن يغوص في أعماقِهِ فهو الكتاب الخالد والمعجز، والذي ستبقى الإنسانية تنهل من علومهِ ومعارفه وأسراره و حكمه، ما يزيدهم إيمانًا وإذعانًا بأنّه المعجزة الخالدة للنبي المؤيد أبي القاسم المصطفى محمد ﷺ؛ وبناءً على هذه الحقيقة جاءت هذه الدراسة لبيان مدى هذا التأثير في النفوس، فقد تحدد ميدان هذه الدراسة في الصورة الحجاجية البيانية التي تتخذ من التشبيه والاستعارة والكناية ميداناً لها، فهي أدوات تصويرية، أو وسائل استظهار تسهم في رسم هذه الصورة، وإعانة المتلقي على تخيلها؛ وبالتالي تتحقق الفائدة المرجوه منها في التأثير.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الحجاج، الصورة البيانية، الاستعارة، الكناية.

## Abstract

The hole quran is still asea brimming with differen kinds of knowledge and sciences as it needs whowver wishes obtaining its pearlos and pearls to sink into deptgs it is the eternal and miraculous book what will continue to provide humanity with its sciences knowledge secrets and wisdom will increase their faith and obedience. as the eternal miracle of the prophet al-muayyad abi alqasim al-mustafa muhammed may god bless him and grant him peace. based on this fact this study came to show the extent of this effect on the souls.

Thw field of this study was confined to the argumentative graphic image that takes metaphor metaphor and metaphor as its fieled. they are pictorial tools or mean of memorization that contribute to drawing this image and helping the recipient to imaging it and thus achieve the desired benefit from it achieve the desired benefit benefit from it in the effect.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين وافضل الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد صل الله عليه وآله وسلم .

وبعد ...

يشكل الخطاب القرآني منظومة اتصالية ابلاغية ، تنتج قيمًا ذات أبعاد معرفية متعددة، ينبهر لها قراء النص المقدس تبعًا لمستويات الفهم عندهم ، فهو نمط تعبيري خاص ، يتكون من اللغة في تراكيبها وأنساقها ، وبالتالي في دلالاتها و بلاغاتها . ولقد استطاع القرآن الكريم ابتكار أساليب تواصلية فعالة ، تنوعت بحسب المقام والسياق ، مما جعله يتجاوب مع النفس البشرية في أبعادها المختلفة والمتنوعة ، فمرة يخاطب فيه العقل ويرشده إلى إعمال الفكر والنظر والتفكير في الخلق واستنطاق السنن الكونية ، ومرة يخاطب فيه الروح بأشواقها وتطلعاتها ، وآمالها وآلامها ، ومرة يرشده إلى الاستدلال المنطقي ، ومرة يفتح عينيه على البديهيات ويستعمل أسلوب الترغيب والترهيب والقصة والمثل ، ماجعل من القرآن الكريم منظومة تواصلية بالغة التأثير[1] .

وقد شغل القرآن الكريم المسلمين منذ نزوله وإلى الآن ، وأغنى حياتهم الثقافية بالدراسات التي تناولته بالشرح والتفسير ، وتلك التي تعرضت لبلاغته وفنونه البيانية، وفصاحته[2].

ويرتكز الخطاب القرآني على ألوان البيان الموظفة توظيفًا استراتيجيًا بشكل يمنح الخطاب فضلًا عن خصوصيته تميزًا مضاعفًا ، وكما نعلم فقد تحدى التنزيل العرب بأفضل ما عندهم وبأكثر ما يجيدونه ، ويبرعون به ، وأعني بيانهم وبلاغتهم وفصاحتهم وفي هذا المقام (( يصح لنا تحديد التراث الإنساني للعرب بالبيان ، فالبيان كل شيء في حياتهم ، وكل شيء بعد مماتهم ، به يتبارون وعليه يثبتون ، وفيه يتمايزون . وهبط القرآن الكريم بين

(١) جماليات الخطاب في النص القرآني :٧١

(٢) بلاغة الخطاب في القرآن الكريم ، آيات الجنة والنار اختيارا: ٤١

ظهرانيهم ، فكان ثروة بيانية لا تنفذ ، ومعينًا بلاغيًا لا ينضب ))(١) .

لذا كان توجيه دراستنا نحو الخطاب القرآني ، دراسة تبحث في كيفية بيانه محاولة تطبيق مفهوم البيان الحجاجي على أحدى سور القرآن الكريم، فوقع الاختيار على سورة ال عمران ؛ كونها من أعظم سور القرآن ، وأكثرها فضلا ، وهي سورة جاء في مكانتها الكثير من الفضل ، فقد ثبت أنّها تحاج عن صاحبها يوم القيامة ، وأنّها تأتي يوم القيامة كغيمة تظلل قارئها فضلًا عن طول السورة الذي تتميز به ، والمادة البلاغية الغزيرة التي تحتويها ؛ ولأنّها تعالج موضوعا يمس حياة الناس في العصور الحديثة ، ألا وهو الصراع بين اليهود والمسلمين فنحن بحاجة الى استلهام العبر ، والمنهج من هذه السورة في كيفية التعامل مع هذا الصراع ؛ لذا عزمنا على اتخاذها موضوعا لهذه الدراسة ...

التمهيد : توضيح أسس البحث

اولا :مفهوم الصورة :

الصورة من حيث الدلالة المعجمية ، تدل على معان عدة ، منها (( الشكل المجسم والأشياء القابلة للرؤية البصرية(٢) ، وبهذا المعنى استعملها القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِى أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾(٣).

أمّا اصطلاحًا فقد عرفت بعدة تعريفات منها :

هي : (( الشكل الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ؛ ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الكاملة في القصيدة ، مستعملًا طاقات اللغة، و إمكانياتها في الدلالة، والتركيب والإيقاع ، والحقيقة ، والمجاز ، والترادف ، والتضاد ، والمقابلة ، والتجانس ، وغيرها من وسائل التعبير الفني ))(٤) .

وفي تعريف آخر قيل أن الصورة : (( طريقة خاصة من طرق التعبير، أو وجه من أوجه

(١) أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم :١١

(٢) معجم لسان العرب :مادة صور.

(٣) سورة الانفطار، الآيتان : ٧-٨ .

(٤) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر : ٤٣٥.

الدلالة تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير، ولكن أيًا كانت هذه الخصوصية ، أو ذاك التأثير ، فإنّ الصورة لن تغير من طبيعة المعنى في ذاته ، إنّها لا تغير إلّا من طريقة عرضه ، وكيفية تقديمه ))[1] .

ثانيا مفهوم البيان :

جاء في لسان العرب : إن البيان : ما يبين به الشيء من الدلالة وغيرها (( وبان الشيء: اتضح فهو بيّن، واستبان الشيء : ظهر، والبيان الفصاحة واللسن كلام بيّن : فصيح، والبيان الإيضاح مع ذكاء والبيّن من الرجال : الفصح والسمع اللسان .

وفلان أبين من فلان أي أفصح منه وأوضح كلامًا ، والبيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو من صنف الفهم ، وذكاء القلب مع اللسان ، وأصله الكشف والظهور ))[2] .

كذلك فقد أشار القرآن الكريم إلى أنّ للبيان اشارات كثيرة منها : قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[3] ، وقوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ القرآن ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾[4] . وفي الحديث الشريف : (( إنّ من البيان لسحرًا ))[5] .

فالبيانُ ملكةٌ يهبها الله لمن يشاء من عباده ، وهو الإفصاح ، وإظهار المقصود والكشف عن المعاني المكنونة .

ثالثا: مفهوم الحجاج:

الحجاج لغة ((يقال : حاججته أحاجه حجاجا ومحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها))[6]، والحجة هي (( البرهان ، وقيل الحجة ما دوفع به الخصم.... أحتج بالشيء : أتخذه حجة... والتحاج : التخاصم ، وجمع الحجة: حجج وحجاج وحاجة محاجة

(١) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب :٣٢٣ .
(٢) معجم لسان العرب :مادة ( بين )
(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٣٨
(٤) سورة الرحمن ، الآيات : ١-٤
(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر :١٧٤ .
(٦) لسان العرب: (مادة حجج).

حجاجا : نازعه الحجة ))[1].

أمّا في الاصطلاح فيعرف على أنّه : (( تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة ، وهو يتمثل في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها بمثابة الحجج اللغوية ، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها ))[2] فهو ((سلسلة من الحجج تتجه جميعًا نحو النتيجة نفسها )) .

والاقناع هو من أهم الوسائل التي جاء بها القرآن الكريم لهداية الخلق ، فالقرآن الكريم هو (( وثيقة رائعة من وثائق الحوار الديني ، الذي يتعلق بكل قضايا العقيدة ابتداءً من فكرة وجود الله ووحدانيته إلى الأحكام الشرعية ))[3]، وهذه الوثيقة لا تخلو من الحجج والبراهين التي تقنع العقل وتبسط له الطرق فيميل الى تلك التي تجذبه والتي تعد أكثر تأثيرا واقناعا ، و(( الحجاج القرآني يقوم على الأسلوب السهل ، الذي يستوعبه المتلقي دون إغراب أو تعقيد أو تنطع)) وهذا ما سوف نلمسه بدراسة الصورة البيانية الحجاجية في سورة آل عمران.

## المطلب الأول : التشبيه

### أما التشبيه فقد عُرِّف بعدة تعريفات :

ذهب أبو هلال العسكري إلى أنّ (( التشبيه الوصف بأنّ أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه ، ناب مناب أم لم ينب ، وقد جاء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة التشبيه ))[4] .

وذكر المبرد قوله : (( واعلم أنّ التشبيه حدًا ، فالأشياء تتشابه من وجوه ، وتتباين من وجوه ، وإنما ينظر للتشبيه من حيث وقع ))[5] .

(١) م. ن: (مادة حجج) .
(٢) الحجاج في اللغة :٥٧.
(٣) الحوار في القرآن الكريم قواعده اساليبه معطياته :١٠.
(٤) كتاب الصناعتين ، الكتابة والشعر : ٢١٣.
(٥) الكامل في اللغة والأدب :٧٦٦.

أمّا السكاكي فقد عَرّف التشبيه تعريفًا وافيًا ذكر فيه طرفا التشبيه وأدواته ،ووجه الشبيه ، بقوله : (( إنّ التشبيه مستدع طرفين : مشبهًا ، ومشبّها به واشتركا بينهما في وجه ، وافترقا في آخر ))[١]

فالتشبيه يختص بالإيضاح والبيان ، ويعد أبلغ قواعد البلاغة ؛ لأنّه يشتمل على إخراج الخفي إلى الجلي ، واظهار الوحشي في صورة المألوف .

لذا فمن أبرز أساليب البيان وأجملها هو التشبيه ؛ ويعود ذلك إلى ما يحمله من ميزات ، فهو يضفي طاقات تعبيرية وتأثيرية على الصورة الموظف فيها ، وقوة في الأداء تؤطر بجمالية ترخي سدولها على المعنى فتضاعف التأثير وتؤدي الصورة حينئذ وظيفتها المنوطة بها[٢]، فـ(( القصدية من التشبيه تأتي لغايات اقناعية عمادها التأثير في المتلقي ))[٣].

ومن صور التشبيهه الحجاجية التي وردت في السورة :

قال تعالى : ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ﴾[٤] .

في هذا المشهد القرآني يعرض لنا القرآن الكريم صورةً بيانية تشبيهية ، وهي وصفٌ لحال الكافرين بصورةٍ جماعية، وهم مسرعون ويتسابقون في ما بينهم وكأنهم يريدوا أن يصلوا إلى نقطةٍ معينة ، بيد أنّ القرآن الكريم عرّض بأنّ تلك القوة ، وتلك السرعة التي يتبارون فيها فيما بينهم وكأنهم في حلقة السباق الواحد تراها تتلاشى أمام قوة الله تبارك وتعالى ، وإنّهم لن يضروه شيئا .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ الله شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ الله بِذُنُوبِهِمْ وَالله شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[٥]

(١) مفتاح العلوم :١٧٧.
(٢) ينظر بلاغة الخطاب في القرآن الكريم ، آيات الجنة والنار اختيارا: ٤٢.
(٣) الحجاج في آيات الأحكام : ١٣٥.
(٤) سورة آل عمران ، الآية : ١٧٦
(٥) سورة آل عمران ، الآية : ١٠

وثمة مشهدًا تشبيهي تمثيلي لصورة المنافقين واستحقاقهم العذاب كحال الكافرين ، والذين سبقوهم من الأمم شبهتهم تلك الصورة من التآمر على النبي والتكذيب بآيات الله تعالى ، فنلحظُ تلك الصورة التشبيهية مركبة من أمورٍ جاءت مجتمعة كالانغماس في الكفر وعداوة الرسول ﷺ ، والتكذيبُ بآيات القرآن المجيد ، وقد عرضها النص القرآني المقدس دفعة واحدة مما جعلها اكثر تأثيرًا في نفس المتلقي .

قال تعالى : (( مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون ))[1] .

(( والغرض تشبيه ما أنفقوا في قلة جدواه وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر ، والكلام غير مطابق الغرض جعل ما ينفقون ممثلًا بالريح قلت : هو من التشبيه المركب ))[2] .

انماز الخطاب القرآني في مشهده التشبيهي بأسلوبي الترهيب والتحذير، منوهًا إلى ضرورة خلو العمل من الرياء وجعل الانفاق خالصًا لله تعالى بعيدًا عن التباهي والتفاخر أمام الآخرين ، مشبهًا ذلك العمل المشوب بالرياء بالزرع الذي عصفته الريح الشديدة فاقتلعته من جذوره ، فلا ترى له قرار .

قال تعالى : ﴿ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴾[3] .

وفي اطار السورة التشبيهية الترهيبية يعمد القرآن إلى جعل النار مأوى ومثوى للظالمين، مشبهًا النار بالمأوى ، فقد أنتج التباعد الدلالي طاقة ايحائية تعبيرية داعمة للدلالة ، فالتباعد الدلالي بين ما توحي به كلمة مأوى ومثوى ( المشبه به)من أمان واستقرار وطمأنينة ، وبين ما تحيل عليه النار ( المشبه ) من العذاب ، يمنح التشبيه طاقة إيحائية ، ويقوي الدلالة ، فكلما ركن الظالمون إلى ضلالهم ، واستقروا بها في الدنيا ستكون النار مثواهم ، و مستقرهم في الآخرة ، جزاء لما اقترفت أيديهم من آثام ، فربط الحقول الدلالية لطرفي التشبيه هز أفق التوقع لدى المتلقي ، إذ تخلخلت الروابط اللغوية العادية ، وانزاحت الحقول المتباعدة ،

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١١٧
(٢) الكشاف: ١١٤-١١٥
(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٥١

لتنصهر في أتون التشبيه ، وتخرج بحلة جديدة ، ومعان جديدة تحقق وظيفتها من وعظ ، وترهيب ، وترغيب ، وتحذير ، واستهزاء ، فضلًا عن الجمالية التي يضفيها الانزياح والجمع بين المتباعدات في بؤرة دلالية واحدة تحيل على فكرة محورية ، ومقصد أساس وهو معنى الاستقرار والخلود[١] .

كل النماذج التي ورد فيها التشبيه كان لها تأثيرا كبيرا في متلقي النصوص حيث أنّ التشبيه الحجاجي مارس دوره في التأثير، والاقناع عن طريق ايضاح المعاني التي أرادت الآية الكريمة ايصالها ، والتي غالبا تقود المتلقي الى الاقتناع فيها.

المطلب الثاني : الصورة الاستعارية الحجاجية :

الاستعارة هي أحدى فنون المجاز ، والتي عُرِّفت بأنّها " نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة الى غيره لغرض وهذا الغرض غالبا ما يكون لشرح المعنى ، أو فضل الإبانة عنه ، أو تأكيده والمبالغة فيه ، أو الاشارة إليه بقليل من اللفظ"[٢] ، وكذلك عُرّفت بأنّها " استعمال العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة "[٣].

ومن مميزات الاستعارة أنّها " ترينا المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنّها قد جُسِّمت حتى رأتها العيون ، وتلطف الاوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تراها إلّا الظنون "[٤] ، لكن هذا ليس هدف الاستعارة الوحيد ، فرسم صورة حسية بعبارات جميلة مبهرة جاذبه للمتلقي يجعل هناك وظيفة أخرى للاستعارة فهي "مقابل الغاية الجمالية للاستعارة ... مطمحا اقناعيا للاستعارة الحجاجية "[٥] ، وبالتالي فهي "تحمل في جوهرها طاقة حجاجية لتحقيق الفاعلية الاقناعية "[٦] .

لم تخلُ سورة آل عمران من تلك الصور الاستعارية التي تعد اكثر ملامسة لنفس المتلقي

(١) ينظر بلاغة الخطاب في القرآن الكريم ، آيات الجنة والنار اختيارًا: ٤٤.
(٢) الصناعتين :٢٩٥.
(٣) العمدة : ٢٤١.
(٤) الميسر في البلاغة العربية : ١٢٢.
(٥) الحجاج في الشعر العربي القديم بنية واساليب :١٢١.
(٦) البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى علية السلام (رسالة) :١١٣

فقد وردت في آيات كثيرة انتقينا بعضها :

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾[1]، وردت في هذا النص الكريم الاستعارة التمثيلية والتي تمثلت في تشبيه التمسك بأسباب السلامة بالتمسك بالحبل الوثيق[2]، و ( إنّ المراد بحبل الله هو الإسلام ، وحبل من الناس هو العهد والذمة ، وقيل : إنّ حبل الله هو الذمة والعهد الذين أعطاهما الله عز وجل لليهود والنصارى إذا أعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وحبل من الناس : هو عقود المصالحة التي يجريها إمام المسلمين مع اليهود والنصارى، فيزيد فيها الإمام تارة وينقص تارة أخرى)[3] ، هذا النص الكريم بما احتوى من استعارة تمثيلية قد أوصلت المتلقي إلى فكرة وهي : أنّ المعتصمين والمتمسكين بحبل الله وحبل الناس كان لهم من القوة والعزة التي ميزتهم وفضلتهم على غيرهم ؛ وسبب هذا التميز هو تأييد الخالق لهم ووحدتهم مع بعضهم ، وفي هذا النص القرآني قد وردت كذلك الاستعارة المكنية في ضرب الذلة ، فهي متصلة بهم بسبب أفعالهم، فقد كان التشبيه للذلة ، وهي أمر محسوس بشيء شملهم جميعا وجعل اتصالهم بها ثابت لا يمكن انتزاعها ؛ وذلك بسبب كفرهم بآيات الله وقتل الأنبياء ، والعصيان ، والاعتداء على حدود الله[4] .

وجود الاستعارة المكنية والتصريحية معًا ، كان لهما تأثيرا اقناعيا أوصل المتلقي إلى نتيجة عامة وهي اتباع الحق والتمسك بالصراط المستقيم ، يجعل الجماعة المتحدة على ذلك أكثر قوة وصبر وثبات أمام كل شيء يمر بهم ، وهداية الخلق هو الشيء الأهم الذي جاء به الاسلام وسارعليه الأنبياء والأولياء الصالحين عليهم السلام ، فالتمسك بهم هو نجاة من

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١١٢
(٢) ينظر : اعراب القرآن الكريم وبيانه : ١-٥٠٨.
(٣) التسهيل لتأويل التنزيل التفسير في سؤال وجواب سورة آل عمران :٢٩٥ - ٢٩٦
(٤) الكشاف : ١٨٩.

محبطات الحياة ، بالمقابل فالمخالف العاصي سيواجه الذل والخسارة في الدنيا والأخرة ، فلا شفيع له ولا معين يعينه يتحمل ما صنعت يداه . وبهذا دور الاستعارة كان اقناعيًا تأثيريًا قبل أن يكون محسنا جماليا.

وكذلك وردت الاستعارة في قوله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [١]. وردت الاستعارة التمثيلية في قوله تعالى (واعتصموا بحبل ) فالصورة الاستعارية الحجاجية قد رسمت للمتلقي الطريقة التي يرمي الله تعالى فيها هذا الحبل الوثيق المتدلي من مكان مرتفع يأمن انقطاعه ، فهو دلالة على أنّ من يتمسك بهذا الحبل الذي جاء بمثابة العهد ، أي عهد الايمان والطاعة ، فالتمسك به يأمن عدم التفرق والابتعاد عن الحق والطريق الصحيح ، وعدّ زوال الألفة بينكم فالذي جمعكم هو هذا الحبل الذي اتفقتم معا على أن لا تنقضوه [٢]، أرادت هذه الصورة الاستعارية الرائعة أنْ تصل بالمتلقي الى نتيجة تجعله أكثر ارتقاء ونجاة هي التمسك بذلك الدين الذي ألقي اليهم من السماء ، فيتوحدوا به ويجتمعوا تحت رايته .

وكذلك قد وردت صورة استعارية أخرى في هذه الآية وهي متمثلة بقوله تعالى : ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ [٣] استعارة المحسوس للمعقول ، النار حقيقة لكن الحفرة ليست حقيقة نار جهنم ليست حفرة ، بل هي عالم عظيم للعذاب ، تدخل هذه الصورة الى ذهن المتلقي بسلاسل فترسم له حالة ما قبل السقوط في الحفرة وفيها نار تلتهم كل شيء ، وبعدها وهو في حالة الفزع والذعر والخوف يتم انقاذه بالرحمه الإلهية ، هنا يكون الامتنان بعد الكفر [٤] ؛ فالحجة التي جاءت بها هذه الصور الاستعارية هي بأنّ الاسلام هو دين الحق من اتبعه وسار على طريقه لن يظل أبدا فالوحدة تحت

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٣
(٢) ينظر: الكشاف : ١٨٦ ، التحرير والتنوير ، ٤/ ٣٠.
(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٣
(٤) ينظر : التحرير والتنوير:٤/ ٣٥.

رايته والهداية فيه والنجاة من النار من خلاله، ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ الله الْإِسْلَامُ ﴾ (سورة آل عمران : ١٩ ) ، وكذلك كانت هناك نتيجة ربما ينتبه لها متلقي هذه النصوص وهي إنّ الدين ليس معوقا لانطلاق الانسان، أو يخضعوه لنظام العبودية ويطبق ما يريد ، بل هو دين توجيه وتنبيه وتحذير، دين تفكر وتعقل ، تحت رايته الهداية والإصلاح ، واتباعه نجاة وتوفيق.

ومن الصور الاستعارية الحجاجية قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾[١] ((الاستعارة في تذوق للعذاب فقد شبهه بالمرّ مما يؤكل ، وثم حذف المشبه به ، وأبقى شيئا من لوازمه وهو الذوق . ولا يخفى ما فيه من الشعور بالمرارة ، وذلك عن طريق الاستعارة التبعية المكنية))[٢] ، الاستعارة رسمت صورة حال الكفار ، وجعلت المتلقي يتخيل مشهدا كأنّما يبصره فإنّه يشاهد كيف أنّهم يتذوقوا العذاب كأنّه شيء مؤلم ، أو فيه من المرارة ما لا يطاق، في كل ذلك تحذير للعذاب الذي سيحل بالمخالفين الكافرين .

رسم الصورة وجعلها كأنها مشهد يبصره المتلقي ، عبر الشخصنة للأشياء وجعلها تتحرك ، أو تمتلك لأي صفة من صفات الأنسان تكون تلك الاستعارات الواردة في سورة ال عمران ، وهذا يجعلها أكثر متعة ودهشة ، ثم تأثيرا واقناعا بالغاية التي أرادت ايصالها الى متلقي النص القرآني الكريم.

المطلب الثالث : الصورة الكنائية الحجاجية:

عُرِّفت الكناية بقولهم : ((الكناية أن يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني فلا يذكر باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه))[٣]، وكذلك عُرّفت بأنها ((كلام أريد به معنى غير معناه الحقيقي

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٦
(٢) اعراب القرآن الكريم وبيانه : ١/ ٥٠٠ـ ٥٠١.
(٣) دلائل الاعجاز: ٥٦.

الذي وضع له ، مع جواز إرادة ذلك المعنى الأصلي ، إذ لا قرينة تمنع هذه الإرادة))[١]، تمتاز الكناية بالاقناع والامتاع ، فهي تعطي الحقيقة مصحوبة بدليل شديد القوة والتأثير والاقناع ، بالمقابل فإنّها لم تتخلى من جانبها الجمالي فتعلق في الفؤاد والعقول [٢]،فالكناية ((وسيلة من وسائل التأثير والاقناع))[٣].

و(( من يتأمل أسلوب الكناية في القرآن يدرك أنّه فوق طاقة بني الإنسان ؛ وذلك لما ينطوي تحته من لطائف وأسرار ، ولا يدرك هذا الأمر إلاّ من تذوق حلاوة القرآن ، وكان من أهل الفصاحة والبيان))[٤] ، ووردت في سورة آل عمران الكثير من الصور الاستعارية الحجاجية وانتقينا بعضها منها قوله تعالى : ﴿ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾[٥]، عض الأنامل كناية عن شدة الحسرة والغيظ ، وهذا دليل على الاضطراب والانفعال الشديد للإنسان ، والذي أصبح نتيجة عن قيام الشخص بشيء تأسف عليه لاحقا ، فشعر بالغيض والندم[٦] ، الحجة تكمن في أنّ هذه الحركة ظاهرة يمكن أن يظهر مدى كمية الحقد والكره الذي يحمله المنافقون اتجاههم، والله سبحانه وتعالى هو من كشفهم على حقيقتهم إذا جعل الأمر ظاهرا أمام المسلمين و (( الأنامل أطراف الأصابع وهذا شان المنافقين يظهرون الإيمان والمودَّة ، ويبطنون الكفر والغضب ... عضوا أناملكم وذلك أشدّ الغيظ والحنّق ... ، أكان إيمانهم يغيظكم ، فإنّ الله سيعلي كلمته ويظهر دينه على أيديهم فموتوا غيظا فالله يعلم ما تضمرون من البغضاء للمؤمنين ، وسيجازيكم بخزيكم ونصرهم في الدنيا ولكم عذاب الحريق خالدون فيه



(١) اساليب البيان في القرآن: ٦٩٠.
(٢) ينظر: الحجاج في كلام الامام الحسين :١٨٤.
(٣) الاسلوب الكنائي نشأته تطوره بلاغة :٨٧.
(٤) جمالية الانزياح في القرآن الكريم : ١٧١.
(٥) سورة آل عمران ، الآية : ١١٩
(٦) التحرير والتنوير ، ٤/ ٦٧.

أبدًا))[1].

وكذلك وردت كناية أخرى في هذه الآية الكريمة وهي في قوله تعالى : ﴿ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (( فهو يعلم ما تضم صدوركم من شعور الغيظ والبغضاء ، وموجدة الحقد والحسد فكيف يخفى عليه ما تقولون في خلواتكم وما يبديه بعضكم لبعض من ذلك ، ويعلم كذلك كل ما تنطوي عليه صدورنا معشر المؤمنين من حب الخير والنصح لكم))[2]، هنا أوصلت هذه الكناية المتلقي إلى نتيجة وهي إنّ الله هو العالم بأحوالهم وما تضمر قلوبهم، وما تخفي نفوسهم ، هو الذي يعلم ما يدور في دواخل الانسان ، ولا يمكن أن نعلم ما يخفيه فهي أسرار مفاتحهاعند الخالق ، (( إنّها صورة كاملة السمات ، ناطقة بدخائل النفوس ، وشواهد الملامح ، تسجل المشاعر الباطنة ، والانفعالات الظاهرة ، والحركة الذاهبة الآيبة، وتسجل بذلك كله نموذجا بشريا مكروها في كل زمان وفي كل مكان ))[3].

فالكناية ( تخاطب الذهن والوعي وتصل اليهما مجردة من ظلالها الجميلة ، وفي الطريقة التصويرية يخاطب الحس والوجدان وتصل الى النفس من منافذها شتى : من الحس عن طريق الحواس ، ومن الوجدان المنفعل بالصداء والضواء ، ويكون الذهن منفذا واحدا من منافذها الكثيرة الى النفس لا منفذها المفرد الوحيد )[4]، وقد وردت الصورة الكنائية الحجاجية في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ الله وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[5]، الكناية في قوله تعالى ﴿ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ ﴾ (( غضبه عليهم إذ قد شاع نفي الكلام في الكناية عن الغضب ، وشاع استعمال النظر في الإقبال والعناية ، ونفي النظر في الغضب فالنظر هنا نظر خاص، وهاتان الكنايتان يجوز معهما ارادة المعنى

(١) تيسير العلي القدير ، ١/ ٣٠٦.
(٢) تفسير المنار ، ٤ / ٩١.
(٣) في ظلال القرآن ، ١/ ٤٥٢.
(٤) مشاهد القيامة في القرآن ، ٨ـ٩ .
(٥) سورة آل عمران ، الآية : ٧٧

الحقيقي))[1] ، وهذه الصور الكنائية كانت بمثابة حجة ودليل وبرهان على من يأكل أموال الناس ، ومن يعطي وعود كاذبة ، ومن يستولى على ممتلكات الناس ،هؤلاء لن يفلحوا في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴾[2] ، فقد توعدهم الله بعذاب عظيم.

الكناية تبطن المعاني ، فتجعل لها ظاهر وباطن ولكن الذي يتبحر فيها سيتعرف على باطنها بيسر وسلاسة ، وهذا ما أدته الكناية الحجاجية في سور آل عمران .

النتائج :

١ـ كل النماذج التي ورد فيها التشبيه كان لها تأثيرا كبيرا في متلقي النصوص ، حيث أنّ التشبيه الحجاجي مارس دوره في التأثير والاقناع عبر ايضاح المعاني التي أرادت الآية الكريمة ايصالها والتي غالبا تقود المتلقي الى الاقتناع فيها.

٢ـ رسم الصورة وجعلها كأنّها مشهد يبصره المتلقي ، الشخصنة للأشياء وجعلها تتحرك ، أو تمتلك لأي صفة من صفات الأنسان تكون تلك الاستعارات الواردة في سورة ال عمران ، وهذا يجعلها اكثر متعة ودهشة ثم تأثيرا واقناعا بالغاية التي أرادت ايصالها الى متلقي النص القرآني الكريم.

٣ـ الكناية تبطن المعاني ، فتجعل لها ظاهر وباطن ولكن الذي يتبحر فيها سيتعرف على باطنها بيسر وسلاسة ، وهذا ما أدته الكناية الحجاجية في سور آل عمران .

(١) التحرير والتنوير ، ٤/ ٢٩٠.
(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٧٩

## المصادر والمراجع


١. القرآن الكريم.

٢. الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، عبد القاهر القط ، مكتبة السياب ، ١٩٧٨م.

٣. أساليب البيان في القرآن: السيد جعفر السيد باقر الحسيني ، مطبعة مؤسسة كتاب ط١ ، ١٤٣٠هـ.

٤. الأسلوب الكنائي نشأته تطوره بلاغة ، محمود السيد شيخون ، الناشر ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ط١ ، القاهرة ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨م .

٥. أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم ، محمد حسين علي الصغير ، دار المؤرخ العربي ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٩ .

٦. اعراب القرآن الكريم وبيانه ، تأليف محمد الطاهر ابن عاشور ، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ م.

٧. اعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدّين الدّرويش ، اليمامة و دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع ط٧ / ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.

٨. بلاغة الخطاب في القرآن الكريم ، آيات الجنة والنار اختيارًا ، باسم شعلان الصالحي ، العراق ، النجف ، ط١ ، ٢٠٢٠ م.

٩. البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى عليه السلام ( رسالة ) ، إعداد محمد اعرابي ،إشراف د. عبد الخالق رشيد ، ٢٠٠٨ ٢٠٠٩ م .

١٠. التسهيل لتأويل التنزيل التفسير في سؤال وجواب سورة آل عمران ، تأليف أبي عبدالله مصطفى ، دار السنة للنشر والتوزيع ، ط١/ ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .

١١. تيسير العلي القدير لاختصار ابن كثير ، اختصار وتعليق محمد نسيب الرفاعي ، مكتبة المعارف الرياض ، طبعة جديدة ١٤١٠ هـ ١٩٨٩م.

١٢. جماليات الخطاب في النص القرآني ، قرارة تحليله في مظاهر الرؤية وآليات التكوين، الدكتور ، لطفي فكري محمد الجودي ، مؤسسة المختار ، ٢٠١٤ م ، ط١.

١٣. جمالية الانزياح في القرآن الكريم( رسالة ) : إعداد عبد القادر بن زيان : إشراف ا.د عبد اللطيف شريفي: جامعة ابي بكر بلقايد- تلمسان الجزائر/ ٢٠١١/ ٢٠١٢م.

١٤. الحجاج في الشعر العربي القديم بنية وأساليب ، سامية الدّريدي ، ط٢/ ٢٠١١م، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع .

١٥. الحجاج في آيات الأحكام( رسالة) ، ثائر عمران شدهان الجنابي جامعة المثنى، كلية التربية للعلوم الإسلامية-العراق،١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.

١٦. الحجاج في كلام الامام الحسين عليه السلام ، تأليف عايد جدوع حنون ، ط١/ ١٤٣٩هـ ٢٠١٨م. إصدار مؤسسة وارث الانبياء .

١٧. الحوار في القرآن الكريم قواعده أساليبه معطياته ، محمد حسين فضل الله ، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ط٥/ ١٤١٧-١٩٩٧م.

١٨. دلائل الاعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت٤٧١هـ) أو (٤٧٤هـ) ، قرأه وعلّق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، د.ط، د.ت.

١٩. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، جابر عصفور ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٢ م .

٢٠. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ابن رشيق القيرواني :

http//:nj180degree.com.241 :

٢١.في ظلال القرآن ، سيد قطب :طبع في مطابع الشروق بيروت :ط٣٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٢٢.الكامل في اللغة والأدب ،أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق ، زكي مبارك القاهرة ، ١٩٣٦ م ، ج٣ .

٢٣.كتاب الصناعتين ، الكتابة والشعر ، أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق : علي محمل البجاوي ، محمد أبو الفضل أبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦ م .

٢٤.كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، أبي هلال الحسن العسكري ، تحقيق علي محمد ومحمد ابو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر ط٢.

٢٥.الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في جوه التأويل ، العلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ ) ، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض ، مكتبة العبيكان ، ط١ ، ١٩٩٨ م .

٢٦.مشاهد القيامة في القرآن الكريم : سيد قطب ، دار الشروق للطباعة والنشر.

٢٧.معجم لسان العرب ، ابن منظور ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ٢٠٠٣م.

٢٨.مفتاح العلوم ، السكاكي ، المطبعة الأدبية القاهرة ، ١٣١٧ .

٢٩.الميسر في البلاغة العربية دروس وتمارين ، ابن عبد الله أحمد شعيب ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان، ط١/ ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

٣٠.نظرية الحجاج في اللغة ،ضمن أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف حمادي صمود ، منشورات كلّية الآداب منوبة ،١٩٩٨م.

٣١.النهاية في غريب الحديث والأثر ، أبو السعادات بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

إن مع العسر يسرا